كتابك

٣٩

عثمان نويه

السلام وجائزة السلام

دار المعارف

هـذا الكتاب

السلام مطلب البشرية اليوم ، تبذل من أجل تحقيقه جهود كبيرة فى شتى المجالات .

فالإنسان يحاول تسخير العلم من أجل السلام ، ويحاول فلسفته ، وتفكيره لتحقيق السلام .

وجائزة السلام السنوية أسلوب من تلك الأساليب العصرية لدفع البشرية إلى الحياة الأفضل .

وهذا الكتاب إضاءة تاريخية وفكرية حول فكرة السلام وجوائزه السنوية .

كتابك ٣٩

رئيس التحرير أنيس منصور

عثمان نويه

السلام وجائزة السلام

دار المعارف

السلام وجائزة السلام

١

فولتير أشهر وألمع كتّاب فرنسا في القرن الثامن عشر ، له رواية ساخرة لست أدرى سببا لقلة انتشارها بين الناس عندنا مع أنها من أمتع ما كتب فولتير من الأدب الساخر ، وأن مسرح الرواية يهمنا جميعاً . . إذْ وقعت أحداثها في فلسطين

اسم الرواية (ميكروميجا) : أى الكبير الصغير ، وفيها يسخر الكاتب في مرح ووعى عميق ، يسخر من غرور الإنسان وزهوه وغرامه المستمر بلعبة التقتيل وسفك الدماء !

وميكروميجا – بطل الرواية – هو أحد سكان كوكب يقال له : الشعرى اليمانية ، ويبلغ طول هذا الرجل نصف مليون قدم ، كان سائراً في طريقه ، فقابل أحد سكان زحل ، وهو قزم لا يجاوز طوله ١٥,٠٠٠ قدم . فيتفقان على القيام بجولة في الفضاء !

وكان الصديق الزحلى القزم عريسا حديث عهد بالزواج ، فاعترضت زوجته على قيامه بتلك الرحلة ؛ لأنه لم يقض معها إلا شهر عسل قصيراً

جدًّا لا يزيد على مائتى عام ! ولكن عريسها من أهل زحل يطمئنها أنه لن يغيب عنها طويلا .

ويقفز العملاق والقزم فوق ذيل نجم مذنب ، ويسبحان فوقه بعيداً بين النجوم والكواكب

وأخيراً يهبطان ، فلا يُنزلان من كل تلك الأكوان إلا بذرةٍ من التراب تافهة تدعى الأرض !

ويسيران فى البحر الأبيض المتوسط وهو فى نظرهما مجرد بركة من الوحل ، فيبصران بسفينة عائدة من رحلة فى القطب ، وتبدو السفينة للعملاق غاية فى الصغر ، فاحتاج لكى يراها جيداً إلى استخدام المجهر المكبر ، ثم أخرجها من البحر ، ووضعها على ظفره ليبحثها عن كثب . ولا يكاد يتأمل السفينة فى المجهر حتى يأخذه العجب والدهشة ، فقد رأى فوقها ذرات حية ، ثم تحولت دهشته إلى متعة حين أخبرته هذه الذرات أنها مخلوقات بشرية خالدة الروح ، وأنها مركز الكون ، وأن السفينة مملوءة بالفلاسفة على ما يظهر !

فيوجه العملاق إليهم أسئلة يستفسر بها عن حياتهم ، فيعلم أن هذه الديدان المضحكة تقضى معظم وقتها على الأرض فى قتال لا ينتهى ! ويقول له أحد الفلاسفة : إنه فى تلك اللحظة التى أحدثك فيها يقوم من جنسنا مليون نسمة – ممن يلبسون القبعات – بذبح مليون من بنى جنسهم

ممن يلبسون العمامة ! وقد نشب هذا القتال بسبب كومة صغيرة تسمى فلسطين

ولا يدعى أحد من هذا المليون أو ذاك أنه صاحب الحق فى أقل ذرة من تراب فلسطين ؛ فالمسألة عندهم ليست إلى من تئول فلسطين من هؤلاء المتحاربين ؟ كلا ، بل المسألة عندهم هى : هل تئول إلى شخص معين عظيم الهيلمان يقال له السلطان ، أو إلى شخص أعظم هيلماناً يقال له الملك ؟

وهذه المعركة الحمقاء ما زالت ناشبة من زمن قديم لا تحيط به ذاكرة أحد من الناس . . وقد امتد لهيبها إلى كل بقاع الأرض ،

هذه هى حال تلك الذرات المجنونة التى تقطن هذا العالم الصغير المضحك ، كما تراءت للمسافرين فى الفضاء

ويقابل القزم والعملاق بعد ذلك فيلسوفاً صغيراً مغروراً ، شديد الثقة بذاته وعلمه ، مخلوقاً ضئيلاً لا يخلو مع ذلك من ظرف . . إنه فيلسوف من أتباع (لوك) .

لكن كان بالسفينة أيضاً لسوء الحظ رجل متغطرس ثقيل الظل يلبس قبعة عريضة وجلباباً واسعاً ، فيقطع السبيل على الفلاسفة ، ويتأمل الزائرين السماويين ، ويطيل فيهما التأمل فى ازدراء ومهانة : ثم يعلن إليهما فى صلف أنهما وعالمهما وكواكبهما وشموسهما ونجومهما . . كلها كائنات حقيرة بالنسبة إليه وقومه المغاوير !

ولا يكاد العملاق ذو نصف مليون القدم والقزم ذو الخمسة عشر ألف قدم يسمعان هذا الهراء حتى يطلقا قهقهة عالية استمرت زمناً طويلا دون أن تخمد ، وبينما هما فى هذه التشنجات إذا بالسفينة التى يحملها العملاق على ظفره تقع فى سروال القزم فى ثنية رجل السروال . وأخرج القزم السفينة من حيث وقعت . وبدأ مع زميله رحلة العودة إلى السماء ! . لقد شهدا كوكب المجانين : الأرض ! التى لا شك أن سكانها من المجانين المنفيين إليها من سكان الكواكب الأخرى !

حروب تستمر آلاف السنين من أجل إشباع غرور سلطان أو ملك ! أحدهما يلبس العمامة ، والآخر يلبس القبعة !

كذلك كان الأدباء يحاربون فكرة الحرب والعدوان على مدى التاريخ . . وكانت لهم فى ذلك روايات وملاحم اكتفينا منها بنبذة من إحدى الروايات . وفيما يلى نشير إلى إحدى الملاحم القديمة لشاعر فارس العظيم – الفردوسى – فى ملحمته الخالدة الشاهنامة :

تروى الأساطير والأخبار مغامرات خاضها رستم الجبار الذى يشق الأرض ، وتزلزل له الجبال ، وتفتت فى طريقه الأحجار ، ويهزم الإنس والجان !

وكان الملك (كيكاوس) قد أوقعه الملك (مازندران) وشياطينه فى الأسر ، فركب رستم جواده ، وفك إسار كيكاوس ، وهزم العدو ، بل هزم معه جنَّه وشياطينه ! لقد كان رستم الفارس الخرافى لدولة فارس !

وخرج رستم للصيد مرة فنام ، وسرق بعض الناس جواده ، فدخل المدينة يبحث عنه ، فرحب به ملكها ، واستضافه . وجاءته ابنة الملك ليلا تطلب أن يكون لها منه ابن فى مثل شجاعته ، فأعطاها خرزة نادرة تشدها إلى عضد المولود إن جاء ذكراً . . وفى الصباح وجد جواده ورحل ، وشب الطفل سهراب وعرف من أبوه ؟ . وبرز فى فنون الحرب ، واشتاق إلى اليوم الذى يلقى فيه أباه ، ولكنه كان يتطلع أيضا إلى ملك الفرس والتورانيين معا ، وقوض سهراب خيمة ملك الفرس ، فخرج إليه رستم ليدافع عن ملكه ، وتبارز الابن والأب دون أن يعرف أحدهما عن الآخر شيئا ! وخطر لسهراب خاطر عارض هو أن الرجل الضخم الشجاع قد يكون أباه ، فسأله عن ذلك ، ولكن رستم أبى أن يجيب إجابة شافية

ويئس سهراب من لقاء أبيه ، وعادت المبارزة ؛ ودامت المبارزة نهاراً كاملا . وأظلم الليل ، واستراح الفارسان . . وفى الفجر تلاقيا كلٌّ على جواده ، وكان سهراب قد ضرب رستم ضربة قوية ، فجاءه فى حنان يسأله عن حاله بعد راحة الليل ، وأخذ يعرض عليه وقف القتال، ولكن رستم » الذى دوخ الجيوش ، وهزم الإنس والجان ظن ذلك خديعة لا تنطلى عليه» فرفض .

وترجل الفارسان وبدأت المبارزة فى يومها الثانى ، وكاد سهراب يهزم رستم ، فاستمهله ، فحن إليه ، وقبل الهدنة ، وفى الجولة الثانية جرح

رستم سهراب جراحاً بالغة مميتة ! فلما رأى سهراب الموت وجهاً لوجه ذكر أمه ، وحدث رستم عن البيت والأم ، وشك رستم فيما خطر له ، فكشف سهراب عن عضده فإذا الخرزة العلامة ، فأظلمت الدنيا كلها فى وجه رستم ؛ وصرخ صراخاً تصدعت لهوله الجبال : وعاد يحمل ابنه وقتيله وهو أغبر الوجه أشعث الشعر ، سائل الدمع ، ممزق الثياب ، معفر الرأس بالتراب الذى أهاله على نفسه حرقة وندماً !

وقصة الحروب منذ نشأت الخليقة إنما هى قصة سلطان متغطرس أو مجنون ، يريد أن يشبع غروره وكبرياءه على حساب دماء الناس وأرواحهم . . وما كان أحرى الجميع بالتعاطف والوئام . . ولكنه الطموح الإجرامى الذى لا يقف عند حد .

سأل الفيلسوف ديوجين ملك مقدونيا الإسكندر الأكبر : بعد فتح أثينا ماذا تنوى أن تفعل ؟

– أغزو فارس

– وبعد فارس ؟

– أغزو مصر

– وبعد مصر .

– أغز العالم

– وبعد غزو العالم ؟

– أستريح وأستمتع ؟

فسأله الفيلسوف ديوجين : وماذا يمنعك أن تستريح وتستمتع الآن ؟ ولكن الإسكندر لم يسترح ولم يستمتع ، لا فى الوقت الحاضر ، ولا فى أى وقت من الأوقات ؛ فقد دهمته الحمى وهو محموم بمطامعه فى غزو العالم ، فمات فى بابل دون أن يحقق شيئاً لا لنفسه ولا لأمته

٢

وليس معنى هذا أننا دعاة استسلام ، أو دعاة تهدئة كما يقولون حين يشيرون تأدبا إلى دعاة الهزيمة . . حاشى لنا ذلك وإنما نحن لا نؤمن بالحرب التى لا تحقق غير الدمار ، وسفك الدماء ، وإهدار الموارد والكرامات إشباعا لهوايات مجنونة عند بعض الحكام أو الزعماء .

وإننا إذ ندين هذا الفريق من الحكام والزعماء (العدميين) نشعر بالإكبار الحق لموت الإنسان دفاعا عما يؤمن به . ولقد روى التاريخ آلاف الأمثلة على ذلك ؛ فقد تجرع سقراط كأس السم ، ورضى المسيح أن يصلب ، وقبلت جان دارك أن تحرق ، وأقدم على الموت فى فروسية وبسالة ملايين من البشر العاديين خلال الحروب التى استمرت عدة قرون .

وهذه الحرب فى مجموعها قد تمثل إقبال الإنسان على الانتحار ، لكنها كانت تنطوى أيضا على شيء من البطولة ، شيء من النبل ، شيء يكاد يرفع الرجل العادى منا إلى أعلى الدرجات . . إن أعظم حب

ينطوى عليه قلب الإنسان – أن يضحى بالروح من أجل صحبه ؛ فهذه المشاهد من قصة الإنسان تبعث فينا المهابة والتوقير ، والعجب والرثاء ! ولكننا إذا استطعنا اجتناب خطر الحرب التى تهدد البشر . ذلك الخطر المفجع ، لا إصلاح لما يفسد ، ولا حياة لمن يميت ! فإن الأجيال التى ستحيا فى عالم تحرر من الحرب ستنظر فى قابل القرون إلى النصب التذكارية لقتلى الحروب الكبرى فى التاريخ بشعور تختلط فيه الكبرياء بالحزن ، والإعجاب بالرثاء ، ولسوف نذكرهم إذا أمسى المساء أو أصبح الصباح !

إننا نحب النهار ولكن لا نخشى الليل
نحب السلام ولكن لا نخشى الحرب

وعلينا أن نسهم بكل جهدنا فى أن تستخدم الطاقات التى أودعها الله الكائنات استخداما يعود بالخير على الإنسانية لا بالدمار .

٣

إن الطاقة الذرية – إذا سخرت لخدمة السلام – استطاعت إقامة حضارة عالمية لم يسبق لها مثيل فى الحيوية وبسطة الرزق

وإذا شئنا تحقيق هذه الآمال كان علينا أن نضع أيدينا فى أيدى الساعين إلى السلم ، المناهضين للحرب ؛ ذلك أن الآراء التى يهتدى بها

معظم الحكام التقليديين والزعماء الديماجوجيين آراء خاطئة فى معظمها ؛ فهى تقوم على فساد التصور ، وزيف الوهم :

يقول برترند رسل فى مقال له بعنوان (الطريق إلى السلم) : « هناك أمر يجب أن نأخذه مأخذ اليقين ، هو أنه إذا قام نزاع فى العالم فلن يكون أمام أى جانب من الجانبين المتنازعين فرصة للنصر بالمعنى الذى كان يفهم من هذه الكلمة حتى الآن ؛ فالحرب العلمية إذا أطلق لها العنان فأغلب الظن أنها لن تدع أحداً على قيد الحياة ؛ فليس أمام النوع البشرى الآن إلا أن يختار واحداً من اثنين : السلم عن طريق الاتفاق ، أو السلم عن طريق الموت الشامل !

فالمسلم والمسيحى واليهودى سواء فى إيثارهم للحياة على الموت ؛ لهذا فإن الخطر الذى يهدد بفناء الجيش البشرى وموت كل حيوان يحيا على الأرض – يجب أن تتصدى له البشرية بشجاعة

ويضيف برترند رسل قائلا : «كثيرا ما تساق فى هذا الصدد حجة لا نصيب لها من الصحة ؛ فكثيراً ما يسألنى الناس : ألا ترحب بأن تموت دفاعا عن آرائك ؟ فأجيبهم : إنى أتمنى ذلك مخلصاً ، فيقولون : أليس واجبنا جميعاً أن نموت دفاعاً عن آرائنا ؟

هذا سخف أىّ سخف ؛ إنك إن تمت من أجل آرائك – فإنما تموت آملا فى أن ينتفع بذلك الآخرون ، أما إن كان لن يبقى أحد لينتفع بتضحيتك – فإن تضحيتك لا يكون لها أى معنى . ولعل أصحاب

النزعة الفدائية هؤلاء ينسون أن القنبلة الهيدروجينية لن تقتصر على قتلهم ، بل ستقتل كذلك كل من لا علاقة لهم بآرائنا ، بما فى ذلك الأطفال ، بل والحيوان ! »

ويقول فى موضع آخر : « من عجب أن كثيراً من الشعوب يتصرفون كما لو كانت القنبلة الذرية ستحصد العدو حصدً . . . أما بالنسبة إليهم فستكون برداً وسلاماً ! » ثم يضيف رسل :

« ويخدع بعض الناس أنفسهم ، فيظنون أن القنابل الهيدروجينية لن تستخدم فى الحرب قياساً على عدم استخدام الغازات السامة فى الحرب العالمية الثانية ، فهؤلاء الناس مخدوعون تماماً ؛ فالغازات السامة لم تستخدم فى الحرب العالمية الثانية ؛ لأن الأقنعة الواقية تلغى فعاليتها تقريباً ، أما القنبلة الهيدروجينية فهى سلاح حاسم ، لم تعرف حتى الآن وسيلة لدرء خطره »

٤

ولقد ظل رسل حتى وفاته سنة ١٩٧٠ ، وحتى بلغ عامه الثامن والتسعين ، شديد الخوف على مستقبل البشرية من الحروب التى قد تؤدى إليها حماقة حاكم من الحكام ، أو جنون زعيم آلت إليه الزعامة فى غفلة الزمان ! فأصدر مع أينشتين بياناً علمياًّ يكشف الأخطار التى تهدد كيان

البشرية من جراء الاستخدام المحتمل للقنبلة الذرية ، ويبصر حكام العالم وشعوبه بالإمكانات التخريبية للقنبلة الهيدروجينية ، تلك الإمكانات التى كان يجهلها ترومان وتشرشل حين قررا إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكى ! فقد كانا يظنان أن القنبلة الذرية . . مجرد نوع شديد التأثير من القنابل الشديدة الانفجار ، ولم يكونا يعلمان مدى تأثيرها الحاضر فى إصابة من نجوا من القتل بسرطان الدم الأحمر وغيره من أبشع الأمراض وتأثيرها بعد ذلك فى ترسيب الغبار الذرى ببطء وعلى مدى سنوات ، فيصيب الناس بشتى العلل ، ويشوه خصائصهم الوراثية ، بحيث يأتى نسلهم شائها فاقدا لمعظم الخصائص البشرية . . . إلى غير ذلك مما هو أبشع وأشنع بكثير ! وحسبنا فى بيان ذلك أن نقول : إن أدوات الدمار الرهيبة التى استخدمها هتلر فى الحرب العالمية الثانية – إذا قيست بالأسلحة الذرية – كانت شيئاً أقل شأناً بكثير من الأسلحة التى استخدمت فى حرب البسوس التى نشبت بين قبيلتين فى الجاهلية من أجل قتل ناقة عجفاء !

وكان برترند رسل هو الفارس المعلم فى جمع جموع العلماء للتبصير بالدمار المرتقب إذا ركبت الحكومات رأسها ، وغامرت بحرب ذرية . . بل لقد شارك أينشتين وغيره فى إصدار البيانات العلمية ، وحث العلماء من شتى الدول على تباين مبادئها الاجتماعية على تبادل المعلومات والخبرات حتى يعجز الساسة عن مباغتة العدو باختراع جديد يجهله ،

فيقضى عليه قضاء مبرما ، ويموت القاتل مثخناً بجراحه فوق جثة المقتول !

وكان هذا الاتحاد بين علماء العالم لمنع قيام حرب ذرية – هو ما رحبنا به فى مقال بأخبار اليوم وشبهناه على سبيل الفكاهة باتحاد نساء أثينا وإسبرطة على حرمان أزواجهن من الاستمتاع بهن إذا هم أصروا على استمرار الحرب بين أثينا وإسبرطة ! فتخاذل الرجال ، واستقرت السلم على نحو ما جاء بمسرحية أرستفان الشهيرة (سيزستراتا)

٥

كان الدمار الرهيب فى هيروشيما ونجازاكى بمثابة صحوة لضمير رجال العلم ، فلقد كان العلماء ومن بينهم أينشتين – رجل السلام فيما بعد – هم الذين أغروا السياسيين وقادة الحرب بضرورة إنتاج القنبلة الذرية . ويالها من مسئولية خطيرة تورط فيها رجال العلم ! لقد تورطوا فى سياسة القوة ، وصموا آذانهم دون صوت ضميرهم الإنسانى إلى أن صحوا ذات يوم من مغالطاتهم لأنفسهم على ضجيج الانفجارات الرهيبة فى هيروشيما ونجازاكى !

وقت ذاك أحس العلماء بأزمة نفسية تهز ضمائرهم ، فتخلوا عن أبراجهم العاجية ، وأدى بهم الشعور بالذنب إلى الإحساس بثقل

مسئوليتهم تجاه المجتمع ! وكان من آثار ذلك أن أصدر أينشتين نفسه سنة ١٩٤٦ بعد انفجار القنبلتين بقليل بياناً جاء فيه :

لقد قدم العلم هذا الخطر ، ولكن المشكلة الحقيقية لا تكمن فى القنبلة ؛ وإنما تكمن فى عقول الناس وقلوبهم ، وليس فى مقدورنا أن نغير ما فى قلوب الآخرين بطريقة آلية ؛ فحسبنا أن نغير ما فى قلوبنا ، وأن نتكلم بشجاعة : يجب علينا ألا نبخل على العالم بما نعرفه من قوى الطبيعة ، ولكن يجب علينا قبل ذلك أن نضع لها الضوابط لتأمينها ضد سوء الاستعمال ، يجب أن ندرك أنه محال علينا أن نخطط للحرب ونخطط للسلام فى وقت واحد ! وعندما تصفو عقولنا وقلوبنا فعندئذ فقط نجد فى أنفسنا ما يقهر المخاوف التى سيطرت على العالم »

هذا الإحساس بالذنب عند أينشتين قد سبق له مثيل فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ، هذا المثيل هو واحد من رجال العلم يخترع سلاحاً مخرباً ، ثم يصاب بيقظة فى الضمير فيحاول التكفير عما قدم بتشجيع الجهود الرامية إلى تخفيف النتائج الحتمية لاختراعه . . . هذا المخترع الذى نشير إليه هو الفريد نوبل مخترع الديناميت !

الفريد نوبل

١

ولد ألفريد نوبل فى استوكهولم يوم الحادى والعشرين من أكتوبر عام ١٨٣٣ ، ويقول عنه (نيلزك مستولية) مدير مؤسسة نوبل :

« لقد كان الفريد جم التواضع . . إلى حد أن المعروف عن حياته الخاصة نادر جدًّا بحيث لا يصلح أساساً لِحَبْكِ أقاصيص العظمة والخيال ! ومع ذيوع شهرته بأعماله فإنه لم يكن معروفاً شخصيًّا إلا لقلة ضئيلة العدد فى أثناء حياته ، وكان من الطبيعى أن يلم السويديون بكل إنجازاته فى حينها ، ولكنهم إلى اليوم لا يعرفون إلا النزر اليسير عن ميزاته الخاصة التى كونت شخصيته وشكلت مصيره »

والمعروف عن الفريد أنه كان ضعيف البنية سقيما منذ ولادته ؛ ومع ذلك فقد كان إنتاجه العلمى وافراً غاية الوفرة ، وذلك قدر شاركه فيه كثير من كبار الأدباء والمفكرين ؛ فلقد ولد توماس هاردى شبه ميت ! ولولا صفعات مولدته له لمات ، ومع ذلك جاوز التسعين من عمره ! وكان مارك توين من ضعف البنية فى طفولته لدرجة أن أمه نظرت إليه فى

حزن ، فسألها : ماذا يا أمى ؟ هل تخافين أن أموت ؟ فقالت : بل الخوف أن تعيش !

وهذا الفريد نوبل يكتب عن نفسه فيقول :

« الفريد نوبل البائس ، نصف الحى ، كان يجب على مولّد خيّر أن يكتم أنفاسه حتى الموت عندما سمع أول صرخة دخل بها الحياة !

مزاياه : ينظف أظفاره ولا يحب أن يثقل على أحد . نقائصه : بغير أسرة . كئيب سيئ الهضم

أهم رغباته : ألا يدفن بقيد الحياة »

٢

لقد أطلّ على العالم فى نفس السنة التى أفلس فيها أبوه ، ومع ذلك صار من أغنى أغنياء العالم ، ولم يدخل فى حياته امتحاناً سواء فى المدرسة الثانوية أو الجامعة ، ومع ذلك فقد صار من أبرز علماء الكيمياء فى عصره ؛ كما أتقن اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، إتقانا تامًّا بجانب السويدية والروسية . وتخصص فى دراسة المفرقعات ، وبالتحديد النتروجليسرين ، واكتشف أنها تصير غير خطرة ، ويمكن تداولها بأمان بعد إدماجها فى مادة ماصة وخاملة مثل الكيسلجور (الطمى الرسوبى) ، وسجل هذا الخليط فى عام ١٨٦٧ باسم ديناميت ، وذلك بعد أن

حصل فى سنة ١٨٦٤ على تسجيل أعظم اختراعاته الذى سماه (مشعل نوبل) وكان أعظم اكتشاف مستكمل فى المفرقعات منْ حيث الفكرة النظرية والتطبيق)

وبعد ذلك خلط النتروجليسرين مع مادة أخرى شديدة الانفجار وهى القطن البارودى (القطن المشبع بحامض النيتريك) ، فحصل نتيجة ذلك على مادة شفافة جيلاتينية ، وكانت أكثر تفجراً وفرقعة من الديناميت ، وسماها الجيلاتين الناسف ، وسجلها بهذا الاسم سنة ١٨٧٥ . وبعد نحو ثلاث عشرة سنة اخترع نوبل البالستيت وهو أول مسحوق نيتروجليسرينى غير مدخن ، وأصبح فيما بعد الأساس فى صناعة الكورديت (البارود الحبلى لأنه يشبه الحبل شكلا)

وقد حصل الفريد نوبل فى حياته على ٣٥٥ براءة اختراع صناعى وعلمى ، كان بعضها ذا فائدة عملية كبيرة على حين كان بعضها الآخر للتسرية وتنشيط الخيال !

وكان الفريد نوبل شريكاً ماليًّا فى كثير من المشروعات الصناعية فى كل أنحاء العالم الأوربى والأمريكى ، فحصل من وراء ذلك على ثروة ضخمة وصار قبل وفاته من أغنى أثرياء أوربا

٣

ومع ذلك فقد كان مطبوعا على الحزن والاكتئاب منذ الصغر ، وكان هذا واضحاً فى أخلاقه ومعاملاته ، كان يقول : إنك تشير إلى أصدقائى الكثيرين فأين هم ؟ . . « صدقنى أن الإنسان لا يكتسب صداقات كثيرة إلا بين الكلاب التى يطعمها بلحوم الآخرين ، أو الديدان التى يغذيها برفاته ؛ فإن المعدات المملوءة هى التوائم للقلوب الشاكرة » ويقول أيضا :

« إننى أوثر العناية بمعدات الأحياء على العناية بذكريات الموتى » وقال : « إن غيرتى على تكريم الموتى الذين لا يكترثون لأنصابنا التذكارية أضعف كثيراً من غيرتى على إعانة الأحياء الذين يشعرون بمضض الفاقة » !

كان الرجل لا يأبه للصداقات أو النشاط الاجتماعى ؛ فكان كثيراً ما يختفى لفترات طويلة دون أن يخطر أقرب زملائه بمكان عزلته . ويقول إنه فى هذه الفترات كانت تتعقبه شياطين الجحيم المنبعثة من الضباب حيث ينشد الحياة بين الأشجار والأدغال « هؤلاء الأصدقاء الصامتون الذين يحترمون حالة أعصابى ! » ولم تكن حفلات التكريم تجذبه أو تستهويه ! وأما رجاء بعض الهيئات أو الأشخاص للحصول على صورة أو معلومات عن حياته الخاصة للنشر فكانت دائماً تجاب بالرفض !

وكان فى شبابه يحب فتاة شاء سوء حظه أن تموت ، فانطوى على

نفسه عاطفيًّا ؛ حتى بلغ السن التى يخشى فيها الرجل أن يكون قطار الزواج قد فاته ، وأوشك أن يهتدى إلى شريكة لحياته توافقه فى سنه ومزاجه وعمله .

وكانت « برتاكنسكى » تعمل سكرتيرة له ، وكانت فى الثالثة والثلاثين ، وهو فى الثالثة والأربعين . . أحس أنه يحبها ويتمنى أن يتخذها شريكة لحياته ، ولم يشأ أن يحرجها ، فسألها : هل هى تحب أحداً؟ فقالت إنها أحبت فتى من نبلاء بلادها وأحبها الفتى ، ولكن أهله رفضوا زواجه منها لفقرها وتفاوت السن بينها وبينه ! وقالت : إنها هجرت وطنها لتنسى ، ولعلها كادت تنسى هواها بالفعل ، ولكن نوبل ذهب فى رحلة من رحلاته ، فكتبت إليه فى غيبته تودعه ، وتعتذر إليه من سفرها قبل عودته ، ثم علم أن فتاها قد استدعاها ، وأنه خرج على رأى أسرته فتزوجها ، . . . وبذلك لم يتزوج (نوبل) ولم يركن إلى سكن ، بل صار العالم الفسيح أهله وسكنه !

٤

حياة فيها كثير من المفارقات : رجل أعمال ملء سمع العالم وبصره ، ومع ذلك فهو انطوائى متوحد ، تنهال عليه الأمجاد وألوان التكريم ومع ذلك فهو عزوف عن كل هذا ، بل رافض له ، لا عن تواضع مزيف ،

بل عن زراية حقيقية بكل هذه الأعراض والمظاهر !

ومن المفارقات فى حياته وقدره أن يشتهر باختراع الديناميت ، ثم ينتشر بين الناس أنه نمط فذ لرجل القرن التاسع عشر ذى المثل العليا ، مع أنه فى الواقع كان مهتما بخلق سلاح حربى . على أن كثيراً من الدهشة يجب أن يزول إذا ذكرنا الجانب البنّاء من مخترعاته : فقد استخدمت مفرقعاته أيضا فى الشئون المدنية السلمية ، فجمع عن هذا الطريق أكثر من ٩٩٪ من ثروته ؛ فقد أحدثت هذه المخترعات ثورة فى حفر المناجم ومد الطرقات وشق الأنفاق ؛ كما أضفت على حياته « الجدية » والتنظيم الصارم ، بالإضافة إلى الثراء العريض . وقد قضى جل أوقاته فى الأسفار المتواصلة فى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والنمسا وإيطاليا والولايات المتحدة حيث أهم إنتاجه وأضخم علاقاته التجارية .

وبرغم حبه الشديد للأبحاث العلمية فقد اضطر أن يبتعد عنها مدداً طويلة قضاها متفرغاً لإدارة أعماله التجارية التى جاءت وليدة لاختراعاته . وكان نوبل يشرف من المركز الرئيسى بباريس على تكوين الاتحادات وإنشاء المصانع ومعامل البحث وابتكار تنظيمات البيع . وكان رائداً فى تقدم وتطوير الائتمان الصناعى مثل معاصره روكفلر

وبرغم كثرة جولاته خارج بلاده – كان يحب وطنه ومسقط رأسه ويحن إليه ، ويحس بالغربة خارجه حتى أطلقوا عليه « أغنى شريد فى أوربا ! » ومات فى إيطاليا فى ١٠ من ديسمبر عام ١٨٩٦ وكان قبل

موته بثلاث سنوات قد اشترى منزلا فى السويد ولم يتزوج قط كما تقدم ، وهناك ما يدل على قصة حبه للسكرتيرة التى سبقت الإشارة إليها ، كذلك أحب فى شبابه فتاة غير معروفة لنا وأوحى إليه هذا الحب بالنزعات الأولى فى كتاباته الأدبية

وفى كهولته أحب فتاة تصغره بثلاث وعشرين سنة . وحاول خلال ثمانية عشر عاما من فترة هذا الحب أن يرفع مستوى الحبيبة العقلى والاجتماعى إلى مستواه فلم يفلح . . . ووجد أن هذه الرابطة لن تؤدى إلى الزواج السعيد الذى كان ينشده ، فأنهى تلك العلاقة العاطفية ، وأدى ذلك إلى زيادة أحزانه الشخصية واكتئابه

٥

هذه الشخصية المتنوعة النواحى ، المتناقضة النزعات ، وهذا الفراغ النفسى وسط ضجيج المشروعات والمفرقعات ، وتلك اللامبالاة بالصداقات وألوان التكريم والتمجيد . . . لابد أنها تخفى وراءها جرثومة أديب أو فنان ، ولكن الواقع أنه لم يؤثر عنه إنتاج أدبى يذكر . كان ينظم الشعر بالإنجليزية فيجيد غاية الإجادة التى يملكها الناظم الغريب عن اللسان والبيئة ، ثم يعود إلى لغة وطنه فإذا هو غريب عنها لا يستطيع أن يودعها سرائر وجدانه . . إنه غريب فى الحالين !

ووجدت فى أوراقه فاتحة قصة شرع فى تأليفها وسمى بطلها باسم السيد (إفنير : يعنى المستقبل) ، فألقى على لسان هذا البطل بيانا مفصلا عن عيوب كل نظام من أنظمة الحكم !

وكانت ثقته بمؤتمرات السلام أقل من ثقته حتى بأنظمة الحكم فى زمانه ، ولكنه كان يقول : «إن مصانعى ربما أبطلت الحروب قبل مؤتمراتهم ؛ ففى اليوم الذى يستطاع فيه إبادة الجيشين المتحاربين فى لمحة عين – قد تتفق الدول المتحضرة على اجتناب الحروب وتسريح الجيوش» .

ومع فشل محاولاته الأدبية فليس لدينا شك فى وجود بذرة الأدب فى تكوينه العقلى . . الأدب الساخر بخاصة . . ومن دلائل وجود جرثومة هذا النوع من الأدب قوله :

«إن الألقاب الممنوحة له من دول الشمال إنما يرجع الفضل فيها لبراعة طباخى ، وحسن تذوق فنه من جانب الأرستقراطية الإسكندنافية ، والألقاب الممنوحة له من فرنسا يرجع الفضل فيها لصداقته لأحد الوزراء الفرنسيين ، أما ألقابه من أمريكا الجنوبية فيرجع الفضل فيها لزيارة هذا الرئيس وولعه بتمثيل أدوار التشريف والإنعام» .

وأما الإخلاص للحق والحب الصادق فيقول كما تقدم : «فصدقنى أننا لا نجد الأصدقاء فى غير الكلاب التى نطعمها ، أو الديدان التى تطعم نفسها من أجسادنا !»

وبين متاعب القلب ومتاعب الجسد عاش على إيمانه بالعلم واعتقاده

بأنه سيوفر غداً المعيشة الكريمة للجماعات لا للكبار الأثرياء ، وكان أثره الباقى فى خدمة البشرية هو جائزته للسلام . . . التى تعين مع غيرها من المحاولات – على الأمل فى انقشاع ليل الحروب ، وشروق شمس السلام !

فنى يناير سنة ١٨٩٥ أعلن أنه قد أوصى بالقدر الأكبر من ثروته الطائلة لإنشاء صندوق يستخدم دخله لمنح الجوائز للأشخاص الذين أسدوا أجل الخدمات للعالم فى كل عام .

الوصية

ومن العبارات المأثورة عن الفريد نوبل قوله : (إنى أفضل العناية بمعدات الأحياء على الإشادة بذكرى الأموات بإقامة النصب التذكارية لهم) ؛ لهذا صمم فى وصيته على أن يحول الجزء الأكبر من ثروته البالغة أكثر من ٣١ مليون كرونر سويدى (وهذا يعادل حاليا قدرة شرائية تناهز ٣١,٥ مليون دولار) يحوله إلى رأسمال يستثمر ، على أن يوزع دخله سنويًّا فى شكل جوائز على من قدموا للجنس البشرى أجل فائدة فى العام المنقضى .

وكان الرجل يريد بهذا أن يثير الهمم ، ويدفع بعجلة التقدم إلى الأمام ، وقد عهدت الوصية بمنح الجوائز إلى ثلاثة معاهد سويدية ولجنة خاصة يعينها الستورتنج أو البرلمان النرويجى ، وبذلك قسمت الأمانة بين شطرى مملكة السويد والنرويج

وقد توفى الفريد نوبل فى سان ريمو بإيطاليا فى العاشر من شهر ديسمبر سنة ١٨٩٦ وأعلنت وصيته بعد أيام ؛ ولكنها لم توضع موضع التنفيذ إلا بعد انقضاء أربع سنوات ، وكان هذا التأخير من الأمور المنتظرة منذ فتح الوصية والشروع فى تنفيذها ؛ لأن البدء فى تنفيذ الوصية بصيغتها

المجملة لم يكن مستطاعاً قبل الفراغ من إجراءات قانونية وعملية شتى يتبعها وكلاء التنفيذ بغير إرشاد من صاحب الوصية . ولا سابقة من وصية قبلها يهتدون بها ، ويعملون على مثالها .

فكان ابتداء العمل بالوصية موقوفاً : « أولا » على حصر التركة الموزعة بين أقطار منعزلة تختلف فيها قوانين التركات ومعاملات التبادل والاتفاق على قيم العملة والأعيان الثابتة والمنقولة بينها وبين الأقطار الأخرى .

وكان من الضرورى بعد ذلك أن يرضى الورثة عن توزيع الثروة على الوجه الذى نصت عليه الوصية ، وقد كان من هؤلاء من يطعن فى الوصية من ناحية « الشكل القانونى » الذى أفرغت فيه ، ومن ناحية التطبيق الذى يحتاج إلى تفصيلات كثيرة تتسع للخلاف والشك فى مدلول الكلمات والموضوعات

وتعرضت الوصية لمنازعات السياسة والدعايات الاجتماعية بين المؤيدين لها والمعترضين عليها . ومن أصحاب هذه الدعايات من كان يحسب الوصية اختلاسا من حقوق الأمة السويدية ، ومن يحسبها على خلاف ذلك كسبا أدبيا لهذه الأمة ، ووسيلة كريمة لتعزيز مكانتها فى ميادين الثقافة العالمية

وأشفق كبار الساسة من عواقب التدخل فى مشاكل الحكومات الأجنبية ، وعداوات الدول التى لا سبيل إلى اجتناب التحزب فيها ، والتحيز إلى أطرافها كلما حان النظر فى من يستحق جائزة السلام ومن

لا يستحقها من قادة العالم ودعاة السلم بين الوزراء والمفكرين .

وانقسمت الصحافة فى السويد فى وجهات نظرها ، فاتحد قادة حزبى المحافظين والاشتراكيين الديمقراطيين فى التأييد ، وأما الملك أوسكار الثانى فناصر وجوب التغييرات فى الوصية ؛ إذ كان يشك فى إمكان تنفيذ بعض بنودها . ولا مراء أن الآراء السويدية تأثرت بالعلاقات المتوترة بين السويد والنرويج وقت ذاك !

وكان راجنار سوهلمان أصغر مساعدى الفريدنوبل ، وأقربهم مودة إلى قلبه - أحد منفذى الوصية ، وقد نجح فى حسم كل الخلافات ، فكأنه كان الناطق بلسان روح الفريد نوبل فيما قاله ونفذه !

كذلك يرجع الفضل فى تسوية المنازعات إلى عما نويل نوبل أى أخى صاحب الوصية ؛ فقد أبدى من السلاسة والمسالمة ما ساعد على الوصول بالوصية إلى بر التنفيذ ! وقد وقع الملك الاتفاق والتزم به .

وبعد مناقشات طويلة صعبة صدق الملك فى ٢٩ من يونية سنة ١٩٠٠ على دستور المنشأة الوليدة « مؤسسة نوبل » وعلى النظم الخاصة بمنح الجوائز

وأما القسم المقابل والقائم حاليا فى النرويج فأنشئ فى ١٠ من أبريل سنة ١٩٠٥ . ويجب أن نذكر أن العلاقات بين معاهد نوبل المانحة للجوائز . سواء منها المعاهد السويدية والنرويجية كانت دائماً علاقات وطيدة من التعاون المتبادل ، والرغبة الطيبة فى أداء رسالتها المشتركة .

قانون مؤسسة نوبل

صدر بالقصر الملكى فى ستوكهولم

فى اليوم التاسع والعشرين من يونية عام ١٩٠٠

تنشأ مؤسسة نوبل طبقاً لقواعد وصية الدكتور الفريد نوبل التى حررها فى ٢٧ من نوفمبر عام ١٨٩٥ ، ونصت فى سياق أجزائها المتتالية على ما يأتى :

« يستخدم كل رصيدى الباقى مما يتحقق من ثروتى على الوجه المذكور بعده :

يستثمر منفذو وصيتى هذه الثروة فى استثمارات أمينة وسيحقق ذلك رأس مال توزع أرباحه سنويًّا فى شكل جوائز على كل من أدى فى العام السابق أعظم خدمة للجنس البشرى ، وتقسم هذه الأرباح خمسة أقسام متساوية يمنح كل منها كالآتى :

جزء للشخص الذى يكون قد أنجز أهم اكتشاف أو اختراع فى حقل الطبيعة .

وجزء للشخص الذى قام بأهم اكتشاف أو كسب كيمياوى .

وجزء للشخص الذى يكون قد أنهى أهم اكتشاف فى علوم

الفسيولوجيا أو الطب .

وجزء للشخص الذى أنتج فى الأدب أروع عمل ذى اتجاه مثالى .

وجزء للشخص الذى حقق أعظم عمل لنمو الأخوة بين الشعوب ، وتسريح الجيوش المتأهبة للحرب أو تخفيض عددها والعمل على عقد أو إنجاح مؤتمرات السلام .

وتمنح أكاديمية العلوم السويدية جوائز الطبيعة والكيمياء . ويقدم معهد كارولينا باستوكهولم جائزة النشاط الفسيولوجى والطبى ، أما جائزة السلام فتقدمها لجنة من خمسة أشخاص ينتخبهم البرلمان النرويجى .

ولتكن رغبتى واضحة بألا تكون هناك أى تفرقة بين المتقدمين عند منح الجوائز بسبب جنسياتهم . ويحصل أحقهم على الجائزة سواء أكان سويديًّا أم لم يكن

ومن الواجب أن يقدم شخص من الكفاة تزكية محررة بترشيح من يختار لنيل الجائزة حتى يمكن أخذ الاقتراح بعين الاعتبار ! والطلبات الشخصية لنيل الجائزة لا تحوز قبولاً ، والشخص ذو الاعتبار الذى يتمتع بصلاحية تقديم هذا الاقتراح يجب أن يكون من الرجال الأكفاء المشهود لهم فى حقل ثقافة الجائزة المطلوبة سواء أكان مواطناً إسكندنافيًّا أم لم يكن .

جائزة نوبل للسلام

أكتوبر هو الشهر الذى تعلن فيه على العالم أسماء الفائزين بجوائز نوبل ، إنهم الرجال الذين أثبتوا جدارتهم بهذا التكريم بما قدموه هذا العام من الإضافات الجليلة فى ميادين الفيزياء والكيمياء والطب والأدب ، والعمل من أجل السلام .

وفى العالم مؤسسات أخرى كثيرة تمنح الجوائز ، ولكن جوائز نوبل احتفظت بمقامها الفريد بين الجوائز العالمية منذ أن منحت لأول مرة عام ١٩٠١ . ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة من أهمها : إيمان العالم بسلامة ما تجريه مؤسسة نوبل من دراسات ، وجدية ما يتم فيها من مداولات على يد أرفع الناس مقاماً فى العلم والثقافة قبل أن يتقرر منح الجائزة

ولقد نص الفريد نوبل فى وصيته المسجلة عام ١٨٩٥ على أن تختص المؤسسات السويدية بمنح الجوائز العلمية والأدبية ، أما منح جائزة السلام فقد أوصى بأن تقوم عليه لجنة يشكلها البرلمان النرويجى

وقد يسأل بعض الناس : كيف يضفى الفريد نوبل السويدى هذا الشرف على البرلمان النرويجى ؟ ويحار الناس فى الجواب عن هذا السؤال : فمن قائل : إن النرويج والسويد كانتا قد اتحدتا تحت تاج واحد . . منذ

سنة ١٨١٤ ، فلما ظهرت فى أواخر القرن بوادر تمرد على هذا الاتحاد فى النرويج ، وانتهى هذا بأن طلبت النرويج الانفصال من هذا الاتحاد – فمن الجائز أن الفريد نوبل قد قصد بتكريم البرلمان النرويجى أن يهدئ الخواطر الثائرة فى النرويج على الاتحاد مع السويد ، بحيث لا تصل الحركة الانفصالية إلى مداها ! وهذا التفسير مرفوض عند أكثر الناس ، لأن سيرة الفريد نوبل تخلو من أى شيء يشير إلى الاهتمامات السياسية أو أنه كان مؤرق الجفن بسبب هذه الأزمة الدستورية ، أو أنه كان متوجسا مما قد تسفر عنه من احتمالات ! فقد قضى معظم أيام حياته خارج السويد ؛ ولهذا يعتقد بعض المفكرين أن حكاية الاتحاد والانفصال لم تكن هى السبب فى هذا التكريم ؛ وإنما يرجع السبب الحق إلى شدة احترام الفريد نوبل لمنجزات البرلمان النرويجى فى المجال الدولى ، وعلى الأخص قرار البرلمان فى عام ١٨٩٠ بتأييد مبدأ التحكيم الدولى فى المنازعات . ومؤازرته الفعالة النشيطة لمؤتمرات الاتحاد البرلمانى الدولى .

جائزة السلام

وقانون مؤسسة نوبل الصادر سنة ١٩٠٠

نصت الوصية على أن يقوم البرلمان النرويجى بانتخاب الأعضاء الخمسة للجنة اختيار الفائزين بجائزة السلام ، ولكن هذا ليس معناه أن البرلمان بهذه الصفة مسئول عن نتيجة عمل اللجنة ، فاللجنة ، هيئة مستقلة تمام الاستقلال ، وليس من الضرورى أن يكون عضو اللجنة من أعضاء البرلمان النرويجى .

واعلان نتائج الفائزين بالجوائز مناسبة تثير اهتمام العالم كله ، لكن ماهى المراحل التى تفضى إلى هذا الاختيار؟

إن حق الترشيح مقصور على هؤلاء الأشخاص : الأعضاء الحاليون والسابقون للجان نوبل أو البرلمان النرويجى .

وتقوم مؤسسة نوبل بالأعمال التحضيرية ، ويقوم مدير المؤسسة بسكرتارية لجنة نوبل ، وعليه أن يمد اللجنة بفيض مستمر من المعلومات التى تعينها على حسن أداء واجباتها على نحو ماورد فى لوائحها : « إن هدف المؤسسة هو متابعة مايطرأ من تطورات فى الحقل الدولى ، وبخاصة

مايتعلق بالحل السلمى للمنازعات حتى تستطيع أن تقدم إلى اللجنة مقترحاتها بشأن منح الجائزة .

وماتكاد تعرض الترشيحات حتى يعد المدير قائمة تجمع المعلومات الشخصية الخاصة بكل مرشح (فى السنوات الأخيرة بلغ متوسط عدد المرشحين ٤٥ مرشحاً) ، ثم يطلب المزيد من المعلومات فى اجتماع تال للجنة ، ويكون هذا عادة فى النصف الأول من شهر أكتوبر ، فإذا صدر القرار باختيار الفائز أذيع اسمه على الصحافة والإذاعة فى الحال وفى حالات كثيرة يتقرر احتجاز الجائزة فلا تمنح لأحد .

وتقام حفلة تقديم الجائزة فى ١٠ من ديسمبر عادة وهو تاريخ وفاة الفريد نوبل وتقام الحفلات فى ستوكهولم وأوسلو فى هذا التاريخ .

وفى أوائل العهد بالجائزة كان كثير من الفائزين بالجائزة يعجزون عن الوصول إلى أوسلو لتسلمها ، ولكن بعد سهولة وسائل السفر الجوى الآن لم تعد هذه الظاهرة تتكرر كثيراً .

ومنذ عام ١٩٤٥ صار كل الفائزين يحضرون الحفلة التى تقام عادة فى القاعة الكبرى بجامعة أوسلو بحضور جلالة ملك النرويج ، ولكن الملك ليس هو الذى يقدم الجائزة كما يحدث فى استوكهولم وإنما يقدمها فى أوسلو رئيس اللجنة .

وقد منحت جائزة السلام خمسا وخمسين مرة إلى عام (١٩٧٤) ، ولكن عدد الفائزين بها يبلغ عددهم الآن واحداً وسبعين ، وسبب هذه

الزيادة أن الجائزة كانت تقسم فى بعض الحالات بين إثنين من الفائزين ، وأما سبب عدم منح جائزة السلام إلاخمسا وخمسين مرة منذ عام ١٩٠١ فهو أن الجائزة قد احتجزت فلم تمنح لأحد فى ثمانية عشر موسما ، ويرجع السبب الرئيسى فى هذا المنع أو الاحتجاز إلى ظروف الحربين العالميتين ، ولكنه حدث أيضاً فى أوقات السلم حين عجزت اللجنة عن الوصول إلى اختيار محدد .

وجرت العادة بأن الجوائز التى لم تمنح فى سنة من السنوات الماضية ، يعاد فيها البحث والمداولة ، وبذا يكون من المستطاع أن تمنح الجائزة فى أحد الأعوام التالية .

لجنة نوبل النرويجية : أصدر الستورتنج (البرلمان النرويجى) فى ٥ من أغسطس سنة ١٨٩٧ القرار التالى : ينتخب كل ثالثة سنة الأشخاص الخمسة الذين يعهد إليهم أمر منح الجائزة من بين الأشخاص الذين تكون لجنة الاختيار قد أعلنت ترشيحهم ويتقاعد اثنان منهم بعد ثلاث سنين ، وهكذا كل ثالثة سنة يتقاعد ثلاثة أعضاء ثم اثنان بالتناوب ، وبالإضافة إلى ذلك ينتخب ثلاثة نواب كل ثالثة سنة .

وقد أسست لجنة نوبل المنبثقة عن البرلمان النرويجى معهد نوبل ومهمة المعهد متابعة تطور العلاقات الدولية ، وبخاصة الجهود السلمية التى تبذل لتسويتها .

ويجب أن تسلم للجنة نوبل للسلام بالبرلمان النرويجى بأوسلو الترشيحات

قبل الأول من فبراير من العام الذى تمنح فيه الجائزة ، فإذا تأخر وصول الترشيح عن هذا التاريخ أرجئ بحثه إلى العام التالى .

ويبلغ عدد الترشيحات التى تصل إلى لجنة نوبل بالبرلمان النرويجى من ٤٥ إلى ٥٠ كذلك تصل إلى اللجنة مئات الرسائل كل عام ، لكنها فى العادة تقتصر على تأييد ترشيح بعض من تم ترشيحهم .

ويعد المستشارون الدائمون للجنة أوراق الترشيح ويمدون اللجنة باستمرار بالبيانات التى يمكن أن تشكل أصلح أساس ممكن لإصدار القرار ، لكن المستشارين لايشتركون فى اتخاذ قرار منح الجائزة ، لأن هذا هو مسئولية اللجنة وحدها .

ويشترط فيمن له حق اقتراح المرشحين لجائزة نوبل للسلام أن يكون من بين الفئات الآتية :

١ — الأعضاء الحاليين والسابقين للجنة نوبل لجائزة السلام .

٢ — أعضاء المجالس النيابية والحكومات والاتحاد البرلمانى الدولى .

٣ — أعضاء محكمة العدل الدولية ومحكمة العدل بلاهاى .

٤ — أعضاء المجلس الدائم للسلام الدولى والأعضاء المناويين بمعهد القانون الدولى .

٥ — أساتذة الجامعات للعلوم السياسية والتشريع والتاريخ والفلسفة .

٦ — من سبق لهم الحصول على جائزة نوبل للسلام .

وتقوم لجنة نوبل للسلام بواجباتها فى استقلال تام عن أية هيئة أخرى ، فهى لاتتلقى توجيهات أو تعليمات من أى شخص أو أى هيئة فيما يتعلق بالفائز الذى يقع عليه اختيارها .

ولايسمح لأحد من أعضاء اللجنة بأن ينص فى بروتوكول الاجتماعات على موضوع المناقشات التى جرت بشأن المرشحين، كذلك يحظر الإدلاء بأى حديث علنى عن أية خلافات بين أعضاء اللجان . لذا فإن هؤلاء الأعضاء لايشتركون فى أية مناقشات علنية بمجرد صدور قرار الجوائز .

ولاتعلن اللجنة عن أسماء أى مرشح ممن اقترحتهم عليها الهيئات والأشخاص الذين لهم حق الترشيح ، لكن يحدث مع ذلك أن مقدمى الترشيحات أنفسهم هم الذين قد تعرف مقترحاتهم عن قصد منهم أو غير قصد . وكثيراً مايؤدى هذا إلى تنظيم حملات لتأييد أحد المرشحين بالذات ، وهذه الحملات لاتخدم الغرض الذى تنشده بل بالعكس فهى كثيراً ماتشعر اللجنة بأن هناك محاولة لفرض رأى معين عليها .

وقد فاز بجائزة نوبل للسلام عدد من أعلام الحكم والفكر وخدمة قضية السلام بالعلم والعمل على اختلاف جنسياتهم :

ومن أشهر الحاصلين على جائزة نوبل للسلام من ساسة العالم وكبار مفكريه :

تيودور روزفلت سنة ١٩٠٦ « أمريكى » وسير أوستين تشمبرلين سنة

١٩٢٦ « بريطانى » ورالف بنش ١٩٥٠ « أمريكى » ، جورج مارشال ١٩٥٣ « أمريكى » وليستر بيرسون ١٩٥٧ « كندى » ، ونويل بيكر ١٩٥٩ « بريطانى » وداج همرشيلد ١٩٦١ « سويدى » ، والزعيم الزنجى مارتن لوثر كينج « ١٩٦٤ » وفيلى برانت ١٩٧٥ « ألمانى » .

جوائز نوبل الأخرى

لقد شُغِلنا فى الصفحات القليلة الماضية بجائزة نوبل للسلام لما لهذه الجائزة من أهمية خاصة فى دفع عجلة السلام إلى الأمام وإنقاذ البشرية من الأخطار التى تتهددها إذا نشبت الحرب ؛ فهذه الجائزة تدل على أن الإنسان فى أساسه مفطور على الخير ، مهما قدم فى حياته من أذى وضر ؛ وآية ذلك ما أسلفنا من سيرة أنشتين والفريد نوبل ، ولعل هذا يدعونى شخصياً إلى إعادة النظر فى قول كنت أردده فى لحظات اليأس ، هو : (الخير أنقى والشر أبقى) ؛ فالواقع أن الجهود التى تبذل من أجل السلام – حتى من جانب صانعى أسلحة الدمار – دليل على أن الإنسان لا يخلو من بذرة الخير ؛ وأن الخير فى نفوسهم كان أبقى من الشر .

ولا نريد برغم الأهمية القصوى لجائزة نوبل للسلام أن نغفل جوائز نوبل الأخرى : فهناك جوائزه الأخرى للعلوم والفنون ، وهى جوائز تدوّى سمعتها فى العالم بأسره كل عام . وفيما عدا جائزة نوبل للسلام التى يقدمها البرلمان النرويجى فإن كل الجوائز الأخرى تقررها مؤسسات سويدية .

فهناك جائزة نوبل للفيزياء أو الكيمياء وتمنحها الأكاديمية السويدية للعلوم .

وجائزة نوبل للفسيولوجيا أو الطب ويمنحها معهد كارولينا الملكى للطب .

وجائزة نوبل للأدب وتمنحها الأكاديمية السويدية باستوكهولم .

ولا يقتصر مفهوم الأدب عند مانحى الجائزة على النثر الجميل فحسب ، بل يشمل أيضاً الكتابات الأخرى بما تحويه « من تعبير وتنميق ذى قيمة » .

ويشترط فى الموضوع المقدم لنيل إحدى هذه الجوائز أن يقدم مكتوباً ، وأن يكون قد سبق نشره مطبوعاً حتى يمكن قبوله للنظر فى استحقاق الجائزة . ولن يمنح العمل جائزة إلا إذا ثبت بالتجربة أو الفحص الفنى الدقيق أنه ذو أهمية أعظم فى خدمة البشر . ونظرة واحدة على أسماء الفائزين بهذه الجوائز يدلك على المكانة الرفيعة لهذه الجوائز التى تتوج أعمال قادة الفكر وأساطين العلم والاختراع :

فمن الفائزين بجائزة الأدب :

الشاعر والروائى رديارد كبلنج (بريطانى) سنة ١٩٠٧ ، والكاتب المسرحى بترلنك (البلجيكى) سنة ١٩١١ والشاعر طاغور (الهند) سنة ١٩١٣ والشاعر وليم بنكر ييتس (آيرلندى) سنة ١٩٢٤ ، والكاتب المسرحى جورج برناردشو (آيرلندى) سنة ١٩٢٥ ، والفيلسوف هنرى برجسون (فرنسى) ١٩٢٧ ، والروائى توماس مان (ألمانى) سنة ١٩٢٩ ، والروائى سنكليرلويس (أمريكى) سنة ١٩٣١ ، والكاتب المسرحى

لويجى بيراندلو (إيطالى) سنة ١٩٣٤ ، وأوجين أونيل ، (أمريكى) سنة ١٩٣٠ ، والكاتب والروائى أندريه جيد (فرنسى) سنة ١٩٤٧ والناقد ت.س. إليوت (بريطانى) سنة ١٩٤٩ ، ووليم فوكنر (أمريكى سنة ١٩٤٩) والفيلسوف برتراند رسل (بريطانى) سنة ١٩٥٠ ، والشاعر والروائى والمسرحى أندريه مورياك (فرنسى) سنة ١٩٥٢ ؛ والروائى المسرحى ألبرت كامى (فرنسى) سنة ١٩٥٧ ، والشاعر الروائى بوريس ل. باسترناك (روسى) سنة ١٩٥٨ (اضطرته السلطات الروسية إلى عدم تسلم الجائزة).

ومن الفائزين بجائزة نوبل للعلوم وهلم رونتجن الألمانى لاكتشافه لأشعة إكس ، ومدام ميرى كورى الفرنسية لاكتشافاتها فى ظاهرة الإشعاع وماركونى الإيطالى لاختراع التلغراف اللاسلكى.

ونييل بوهر الدانمركى لاكتشافاته فى بناء الذرة وإشعاعها وثرنر هيسنبرج الألمانى لاختراع الميكانيكا الكمية ، وفكتور هسى النمسوى لاكتشاف الإشعاع الكونى ، وهانز بيث الأمريكى لاكتشافاته لإنتاج النجوم للطاقة وهكذا.

معركة السلام

وبعد ، فإن جوائز نوبل للسلام جزء من المسعى العالمى لإقرار السلام فى الأرض . . فلقد ملأ التعصب أذهان الشعوب فى الماضى ، وصورلهم أن الحرب هى الحل الوحيد لجميع متاعبهم ، والدواء الوحيد لكل أدوائهم ، والمسرح الوحيد الذى تتجلى فوقه بطولة الإنسان . . وما أدى إليه من تدهور فى المعانى الإنسانية كما صوره مارك توين – متهكماً – على لسان أحد المواطنين فى دعاء الجندى :

« ربنا أعنا على تمزيق جنودهم بقنابلنا ، فتصير أشلاؤهم شرائح مغموسة بالدم . . وأعنّا اللهم على أن يغرق قصف المدافع فى طوفان من صرخات جرحاهم ، وأعنا على تخريب بيوتهم بإعصار فيه نار . . وأعنا على تشريدهم وسط الخراب الذى نزل بهم فيهيمون على وجوههم جائعين صادين كسيرى الخاطر أذلة . ورحمة بنا نحن عبادك أعصف اللهم بآمالهم ، واجعل حياتهم وبالا عليهم ؛ ومد اللهم فى رحلة عذابهم ، وأثقل خطاهم ، وأرو الطريق غدقاً من دموعهم ، اللهم أجب دعاءنا . ولك المجد اليوم وإلى أبد الآبدين . . آمين » .

هذا الدعاء الذى كتبه مارك توين صارخاً من روح العدوان التى

استبدت بعقول البشر – يكشف لنا عن حقيقة خطيرة : هى أن إفساد عقل الإنسان بالأباطيل والأضاليل أمر لابد منه لكى يزج بنفسه وببلاده فى الخراب والدمار ، ولابد لاستنقاذه من هذه الأباطيل والأضاليل ؛ ومن ثم من ويلات الخراب والدمار ، لابد من تسليط أضواء العلم على الجوانب المظلمة من عقل الإنسان ؛ فالحرب كما يقولون تبدأ فى عقول الناس !

وإننا لعظيمو الأمل فى أن القرن العشرين الذى شهد أفظع معارك الحروب على مدى التاريخ – هو أول قرن يرسى قواعد السلام ، وآخر قرن يشهد الصراع الدموى بين الأمم ، حتى ولو لم ندرك تحقيق السلام العالمى الفعلى فى حياتنا ؛ فحسبنا أننا سنكون أول جيل من البشر على سطح الأرض حاول جادًّا أن يحسم أمر هذه المجزرة المتكررة ، وأن يضع لها حدًّا . وسيكون شعارنا فى هذه المعركة «الحرب تبدأ فى عقول الناس ! ففى عقول الناس يجب أن نخوض معركة السلام» فعلى الناس أن يتدبروا بعقولهم الحقائق الآتية ليروا . أى المنهجين أهدى سبيلاً :

طريق الحرب أو طريق السلام ومدى ما يتحمله العالم فى الحالة التى يعيشها حاليًّا للوقاية من حرب محتملة ؛ وتأثير ذلك على اقتصاديات العالم والإضرار بحياة الدول النامية على وجه أخص ؟

عليهم مثلاً أن يتدبروا الحقائق التالية :

إن تكاليف قاذفة القنابل النموذجية يعادل مرتب ٢٥٠,٠٠٠ مدرس

لمدة سنة ! أو إنشاء ٣٠ كلية علوم فى كل منها ١٠٠٠ طالب ! أو ٧٥ مستشفى كاملة المعدات فى كل منها ١٠٠ سرير ! أو ٥٠,٠٠٠ جرار ! أو ١٥٠٠٠ ماكينة حصاد !

والعالم ينفق على التسلح ١٢ ألف مليون دولار كل سنة ، فى حين أن جملة رأس المال الأجنبى التى تحتاج إليها الدول النامية زيادة عن مواردها المخصصة للاستثمار بما يتردد بين ٦٠٠٠ مليون دولار و ١٠ آلاف مليون دولار سنويًّا .

وتبلغ تكاليف الغواصات الذرية ١٦٠ مليون دولار ، وبهذا المال تستطيع ٥٠ مدينة أن تنشئ كل منها مستشفى حديثاً يتكلف كل منها ٣ ملايين دولار .

وتقدر جملة تكاليف إنشاء طائرة واحدة من أحدث الطائرات المقاتلة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت بأكثر من ٦٥٠٠ مليون دولار ؛ وهذا المبلغ يكفى بناء ٦٠٠,٠٠٠ بيت جديد وإسكان أكثر من ٣ ملايين نسمة .

ولكل هذا فإن إنقاذ العالم من الورطة الاقتصادية التى يحياها . . بالإضافة إلى الورطة الإنسانية والنكسة الحضارية – يستلزم إقرار السلام الشامل فى العالم .

العلم فى معركة السلام

وساسة العالم يعملون الآن بجد لإقرار السلام القائم على العدل ، ويكن أساليب الدبلوماسية وحدها لا تكفى تحقيق هذه الغاية ؛ إذ لابد أن تساندها المعرفة العلمية بالمتغيرات الدينامية التى تتضمنها قضية الحرب والسلام !

وهذه المعرفة قد نشأت فى صورة علم جديد يطلقون عليه (علم بحوث السلام) : وخلاصة هدفه التنقيب عن المعارف العلمية الأساسية المتعلقة بالسلم والحرب ، تلك المعارف التى يحتاج إليها الساسة أشد الحاجة .

ودور العلماء فى مجالات السياسة ظاهرة جديدة ، تقى الساسة أن يتورطوا بفعل التعصب أوكسب البطولة الزائفة فى قرارات تُؤدّى بالعالم إلى التهلكة ، بسبب بعدهم الأساسِى عن مجالات العلم !

وكان العلماء قبل أن تصل أفكار العلم إلى ما وصلت إليه فى العصر الذرى يعتصمون بأبراجهم العاجية على أساس أن العلم يقدم المعرفة ولا شأن له بطرق استخدامها ، فتلك مسئولية علم الأخلاق أو علم السياسة ! أما العلم نفسه فمستقل عن عالم القيم ! ومن ثم فالعلماء غير مسئولين عن استخدام كشوفهم للخير أو للشر ! واستمر هذا الاعتقاد سائداً بينهم إلى أن تعرض العالم كله للدمار بفعل القنبلة الذرية ، الدمار الذى لا يبقى على

علم ولا حضارة ولا قيم ولا بشر ولا أى مظهر من مظاهر الحياة !

عندئذ تغير موقف العلماء ، وكان أول إيذان بهذا التغيير – ذلك البيان الهام الذى أصدره أينشتين وبرتراند راسل عام ١٩٥٤ وهذا نصه :

فى هذا الموقف المفجع – الذى يواجه الجنس البشرى – نشعر بأن على العلماء أن يجتمعوا فى مؤتمر لتقويم المخاطر التى نشأت نتيجة لتطور أسلحة الدمار الشامل .

ونحن نتحدث بهذه المناسبة ، لا بصفتنا أبناء هذه الأمة ، أو تلك القارة ، أو هذا المذهب أو ذاك ، ولكن بوصفنا بشراً صار استمرار وجوده على هذه الأرض موضع شك ! ونحن نهيب بكم أن تطرحوا جانباً مشاعر التعصب ، وأن تعتبروا أنفسكم أبناء جنس بيولوجى كان له تاريخ مرموق ، وليست بأحد منا رغبة فى محوه من الوجود !

وسنحاول ألا تصدر منا كلمة واحدة تصادف هوى عند إحدى الجماعات دون الأخرى ؛ فالجميع – على قدم المساواة – معرضون للخطر ؛ فإذا وعوا ذلك – حق الوعى – كان هناك أمل فى أن يتخطوه مجتمعين !

علينا أن نتعلم كيف نفكر بطريقة جديدة ؛ علينا أن نتعلم كيف نسأل أنفسنا : لا عن الخطوات التى يمكن اتخاذها لتحقيق نصر عسكرى لأى فريق نفضله ؛ فلم يعد هناك وجود لهذه الخطوات – . بل علينا أن نسأل أنفسنا : أى الخطوات يمكن اتخاذها لمنع أى صدام عسكرى ؟ . . من المحتم

أن تكون نتيجته وبالاً على جميع الأطراف !

والناس عموماً ، بل الكثيرون من الساسة – لم يدركوا مدى ما يمكن أن يكون من آثار استخدام القنابل النووية ؛ فالناس عموماً لا يزال تفكيرهم منحصراً فى حدود تدمير المدن . ومن المفهوم أن القنابل الجديدة أقوى من القديمة ، وإذا كانت قنبلة ذرية واحدة قد دمرت هيروشيما – فإن قنبلة هيدروجينية واحدة يمكن أن تدمر أكبر المدن مثل لندن أو نيويورك أو موسكو !

ولا شك أنه فى حالة وقوع حرب هيدروجينية فإن المدن الكبرى سوف تدمر ، ولكن هذه مجرد كارثة من الكوارث الكبرى التى سيكون علينا أن نواجهها ؛ فلو أن كل إنسان فى لندن ونيويورك وموسكو قُضِي عليه بالهلاك – فالعالم قد يتمكن فى غضون قرون قليلة أن يتماثل للشفاء بعد هذه الضربة ، ولكننا الآن نعرف – بعد تجربة جزر بيكينى – أن القنابل النووية يمكنها أن تنشر الدمار على رقعة أوسع بكثير جدًّا مما كان يظن !

ومن المقرر الآن – استناداً إلى أوثق المصادر – أنه يمكن الآن صنع قنبلة تبلغ قوتها ٢٥٠٠ ضعفٍ لقوة القنبلة التى دمرت هيروشيما ، مثل هذه القنبلة . إذا ما فجرت قريباً من سطح الأرض أو تحت الماء – فإنها ترسل جزئيات مشعة فى الطبقات العليا من الجو ، وهذه الجزئيات تهبط ببطء ، وتصل إلى سطح الأرض على شكل غبار قاتل أو مطر مميت ،

ولقد كان هذا الغبار هو الذى أصاب الصيادين اليابانيين وصيدهم من السمك (فى بكينى) .

ولا يعرف أحد مدى انتشار وتوزيع هذه الجزئيات المشعة ، ولكن أحسن المصادر تجمع على أن حرباً تستخدم فيها القنابل الهيدروجينية يمكن جدًّا أن تضع نهاية للجنس البشرى ، كما يخشى من أنه إذا استخدمت أعداد من القنابل الهيدروجينية أن يحدث موت شامل ، وسيقتصر الموت المفاجئ على نسبة قليلة . أما الأغلبية الساحقة فستعانى من آلام المرض وتحلل الأجساد قبل الموت !

وكثيراً ما انطلقت التحذيرات فى بيانات علماء بارزين . ومن مصادر الثقة فى الاستراتيجية العسكرية ! ولا يقول أحد هؤلاء : إنه ليس من المؤكد حدوث أسوأ النتائج ، ولكن أسوأ النتائج ممكنة الحدوث ، ومع الأسف أننا وجدنا أن أكثر الناس معرفة هم أكثرهم تشاؤماً !

هنا إذن تكمن المشكلة التى نعرضها عليكم معتمة ومفزعة ؛ ولا سبيل إلى الهرب منها ! هل نضع نهاية للجنس البشرى ، أو هل يرفض الجنس البشرى الحرب ؟ . ولا قبل للناس بالاختيار بين هذين البديلين ؛ لأن من أصعب الأمور وضع حد للحرب !

ذلك أن إلغاء الحروب يتطلب وضع قيود غير مستساغة على السيادة القومية ؛ ولكن لعل العائق الذى يمنع الناس من تفهم الموقف هو أن عبارة « النوع البشرى » تبدو مجردة ومبهمة ، والناس يطوف بهم أن الخطر

يحدق بهم وبأطفالهم وبحفدتهم ،ولا يحدق بالإنسانية أو النوع البشرى ! وهى مفاهيم باهتة غير واضحة ، وقلما حملوا أنفسهم على تصور أنهم والذين يحبونهم معرضون لخطر داهم ، خطر الهلاك والموت بطريقة أليمة مفزعة ! .

وهكذا فإنهم يأملون أن الحرب يمكن استمرارها بشرط تحريم استخدام الأسلحة الحديثة فيها !

وهذا وهم وخداع باطل ؛ فمهما كانت الاتفاقيات التى تبرم زمن السلم تنص على حظر استخدام القنابل الهيدروجينية فلن تكون هذه الاتفاقيات ملزمة لأحد زمن الحرب ؛ كما أن أحد الجانبين أو كليهما سيشرع فور نشوب الحرب فى صنع القنابل الهيدروجينية ؛ وذلك لأنه إذا انفرد جانب واحد بصنع القنابل الهيدروجينية فسيكون هو المنتصر لا محالة .

وبالرغم من أن أية اتفاقية تستنكر استخدام الأسلحة النووية كجزء من اتفاقية شاملة لتخفيض التسلح لن تقدم حلاً نهائيًّا – فإنها تحقق أغراضاً هامةً معينة :

(ا) أن أى اتفاق بين الشرق والغرب ، إنما هو فى الاتجاه السليم ومن أجل المصلحة العامة ؛ لأنه يقلل من حدة التوتر !

(ب) أنه إذا اعتقد كل جانب أن الجانب الآخر ينفذ بإخلاص اتفاقاً ينص على حظر استخدام الأسلحة النووية الحرارية – فإن هذا سيقلل من الخوف من الهجوم المفاجئ على نحو ما حدث فى

بيرل هاربور ، وهذا الخوف هو الذى يبقى الجانبين الآن فى حالة توجس وتوتر عصبى ؛ ولذلك يجب علينا أن نرحب بمثل هذا الاتفاق الآن باعتباره مجرد خطوة أولى .

وأغلب الناس ليسوا محايدين فى مشاعرهم ، وإذا قدر للمشاكل المعلقة بين الشرق والغرب أن تحسم بطريقة ترضى كل إنسان سواء أكان شيوعيًّا أم عدوًّا للشيوعية ، وسواء أكان آسيويًّا أم أوربيًّا أم أمريكياً ، أبيض أو أسود – فلن يكون حسمها عن طريق الحرب ! إننا نرجو أن يكون هذا مفهوماً فى الشرق والغرب معاً .

إن أمامنا إذا شئنا أملاً مشرقاً فى تقدم مستمر نحو السعادة والمعرفة والحكمة ، فهل نختار بدلاً منه الموت الشامل ؛ لأننا لا نستطيع أن ننسى نزاعاتنا ؟ إننا نناشدكم كآدميين لآدميين أن تذكروا إنسانيتكم ، وأن تنسوا ما عداها ! فإذا استطعتم ذلك فإن الطريق أمامكم مفتوح إلى فردوس جديد ، وإن لم تستطيعوا فأمامكم خطر الموت الشامل !

القرار

لهذا فإننا ندعو علماء العالم والناس كافة للاشتراك فى اتخاذ القرار التالى :

« نظراً لأنه فى أية حرب عالمية تقع فى المستقبل ستستخدم – بالتأكيد – الأسلحة النووية ؛ ونظراً لأن هذه الأسلحة تهدد بقاء النوع البشرى واستمرار وجوده ، فإننا نستحث حكومات العالم لكى تدرك وتعترف علناً بأن أهدافها لا يمكن أن تتحقق عن طريق حرب عالمية . ونحن نستحثهم من ثمّ أن يبحثوا عن وسائل سلمية لتسوية جميع المسائل المتنازع عليها فيما بينهم » .

الموقعون :

البروفسور ب . و . بريدجمان (أستاذ الفيزياء بجامعة هارفارد والحائز على جائز نوبل فى الفيزياء) .

– البروفسور ألبرت أنيشتين .

– البروفسور ل . إنفيلد (أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة وارسو) .

– البروفسور ج . ف جوليو – كورى (أستاذ الفيزياء بكوليج

دى فرانس ، وحائز لجائزة نوبل فى الكيمياء) .

- البروفسور هـ.ج موللر (أستاذ علم الحيوان بجامعة أنديانا - وحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا والطب) .

- الأستاذ لينوس بولنج (أستاذ الكيمياء بمعهد التكنولوجيا بكاليفورنيا والحائز على جائزة نوبل فى الكيمياء) .

- البروفسور ف. باول (أستاذ الفيزياء بجامعة بريستول والحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء) .

- البروفسور ج. روبتلات (أستاذ الفيزياء بجامعة لندن) .

- برتراندرسل .

- البروفسور هيديكى بوكادا (أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة كيوكو ، والحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء) .

مؤتمرات البجواش

هذا التقرير الجرىء الذى أصدره ألبرت أنيشتين وبرتراند راسل – ووقعه عدد كبير من أشهر العلماء فى العالم – كان الشرارة التى أشعلت الأمل ؛ فقد تمخض عن إنشاء حركة بجواش .

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى بلدة بجواش الكندية الصغيرة فى نوفا سكوشيا التى افتتح أول اجتماع للحركة بها سنة ١٩٥٧ .

وقد ظهرت حركة بجواش كحركة تلقائية بين العلماء الذين يدْعون إلى تبادل دولى للآراء حول أثر العلم على الشئون الإنسانية ، ودراسة المسائل العلمية ذات المضمون السياسى كالإجراءات اللازمة للحدّ من التوتر ، ومن أخطار الحرب ، ومقترحات الحد من التسلح ، ومشكلات الأمن الجماعى .

أضف إلى هذا مسألتين تقوم بهما الجماعة ، وتهتم بهما اليونسكو أشد الاهتمام ، هما دور ومسئولية العلماء فى قضية السلام ، والتنمية الاقتصادية فى الدول النامية :

أما عن دور العلماء ومسئوليتهم فى تحقيق هذين الهدفين فقد أصدرت جماعة البجواش فى قراراتها تحديداً لهذه المهمة لا غموض فيه ولا إبهام ، جاء فيه :

«إن للبشرية فى هذا العصر مطلبين هما القضاء على الحروب ، وخلق عالم يسير نحو خيرٍ أعظم وأعم» .

كما تطالب جماعة البجواش بنزع السلاح على الصعيد العالمى ، والتعاون من أجل السلام بين الدول ذات النظم الاقتصادية والسياسية المختلفة ، على ألا يكون هذا التعاون سلبيًّا ، بل يكون إيجابيًّا وبنّاء ، وهذا نتيجة حتمية للثورة العلمية ، وعلى العلماء مسئولية شخصية ومهنية فى كلتا الناحيتين .

وأعلنت جماعة البجواش فى بياناتها «أن دور العلم وأهميته المتزايدة فى المجتمع المعاصر يفرض على العلماء مسئوليات فى التنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية للأمم : فعليهم أن يستخدموا نفوذهم للحد من التوتر الدولى ، ولتوثيق الصلات بين الدول وتعاونها ؛ كما أن من واجبهم أن يعاونوا حكوماتهم على تحويل سياستها للإسهام فى تحقيق السلام الدائم والرفاهية لجميع الشعوب» .

وقد ظلت مؤتمرات بجواش تحتفظ بصفتها الأصلية غير الرسمية ، يحضرها المشتركون فيها بصفتهم الشخصية . . كعلماء لا ممثلين لحكوماتهم . وغالباً ما يكونون من الحائزين لجوائز نوبل الذين قدموا عصارة فكرهم لدراسة المشكلات التى يسببها العلم للمجتمع الحديث . وتبدى جميع حكومات العالم اهتماماً خاصاً بمؤتمرات بجواش ؛ إذْ أصبحت هذه المؤتمرات تحظى بالاحترام العالمى الكامل ، ويشترك فيها علماء من شتى

الدول على اختلاف نظمها الاقتصادية والاجتماعية كما تشارك الأمم المتحدة فى اجتماعاتها بإيفاد مراقبين ، وقد أنشئت فى شتى أنحاء العالم لجان « وطنية لحركة البجواش » .

وعقدت مؤتمرات هامة للبجواش فى بريطانيا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية والهند والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها من الدول بقصد إفساح المجال لدراسة إمكانات التعاون الدولى ، ودور العلماء فى مساعدة الدول النامية .

وقد صدر عن مؤتمر البجواش الذى عقد بفينا فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ إعلان أجمع عليه سبعون من قادة العلماء فى جميع أنحاء العالم ؛ وقد أكد هذا الإعلان ضرورة إنهاء الحروب ، ووضع حد لسباق التسلح ، والوقاية من أخطار التجارب الذرية والحاجة إلى التعاون العلمي ، وتطوير التكنولوجيا لخدمة السلام . وتحديد مسئولية العلماء فى صون السلام .

وقد ورد فى مجلة علماء الذرة : « إن مؤرخى المستقبل سيعتبرون يوم ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٥٨ يوماً تاريخيًّا إذْ أعلنت فيه وثيقة هامة فى تاريخ تحول الحياة الإنسانية فى العصر العلمى » .

برتراند رسل يتكلم بصراحة

هذه الحركة حركة البجواش ، حركة تجمع العلماء على اختلاف دولهم فى اجتماعات شخصية حرة لتبادل الرأى فيما يؤدى إلى سلام البشر ورخائه ، وتعتبر إلى حد كبير ثمرة من ثمرات جهود المفكر العالمى برتراندرسل الذى يعد الفارس المعلم فى مقاومة الاتجاه إلى الحرب لحل المشكلات ؛ فبعد الحرب العالمية الأولى كان ظاهر النشاط فى حركة مقاومة التجنيد الإجبارى ، فحكم عليه بغرامة قدرها مائة جنيه ، وبيعت مكتبته للوفاء بهذه الغرامة ، وفصلته الكلية من وظيفته ، وحكم عليه عام ١٩١٨ بالسجن ستة أشهر لنشره مقالاً فى إحدى المجلات يؤثر فيه السلم ويدعو إليها ، وفى السجن ألف كتابه الرائع (المدخل إلى الفلسفة الرياضية) .

وعُنِى فى السنوات الأخيرة من حياته (توفى سنة ١٩٧١) ببيان أثر التقدم العلمى فى مستقبل البشرية وإصدار البيانات العلمية التى يظهر العالم فيها على تلك الحقائق المروعة .

وفى أواخر حياته استضافه التلفزيون البريطانى ، وأجرى معه ثلاثة عشر حواراً طوالا ، كان أحدها عن الحرب والسلام ، وفيما يلى

مقتطفات من هذا الحوار التاريخى الرائع :

المذيع : مستر رسل ، هل تظن أن الناس يحبون الحرب ؟

رسل : الواقع أن الكثيرين يحبونها ، وكان هذا أمراً عجبت له عام ١٩١٤ حين نشبت الحرب العالمية الأولى ، فقد كان دعاة السلام الذين كانوا يعملون معى يعتقدون أن الحروب تفرضها على الناس الأجهزة الحكومية الشريرة ، ولكنى جُلْت فى شوارع لندن ، ونظرت فى وجوه الناس ، فوجدت أنهم أسعد فعلاً مما كانوا قبل بداية الحرب ، فنشرت ذلك ، وتسببت فيما أصاب زملائى من حسرة وخيبة أمل ! ومازلت أعتقد أن الناس يرحبون بنشوب الحرب بشرطين : ألا تكون على مقربة منهم ، وألا تكون بالغة الأذى ! أما حين تنتقل الحرب إلى أراضيك فلن تعود تجربة ممتعة بالنسبة إليك !

المذيع : إذا كان الكثيرون يستمتعون بالحروب – فماذا سيفعلون بمشاعرهم العدوانية إذا انتهت الحروب ؟

رسل : أظن أن المشاعر ليست عدوانية فى جوهرها ؛ إنها مغامرة ، وأعتقد أنه من الضرورى جدًّا إذا إنتهت الحروب أن تتاح فرص المغامرة لهذا القطاع المحب للمغامرة ! يجب أن يتاح لك تسلق الجبال بنفقات معقولة ، وأن تذهب إلى القطب الشمالى ، والقطب الجنوبى إذا شئت !

يجب باختصار أن تتاح لك كل الوسائل الممكنة للمغامرة !

المذيع : هل تظن أن الإسكندناويين –أوالسويديين على التحديد–

قد صاروا أسعد حالا بعد حياة طويلة دون حروب ؟

رسل : نعم لم يدخلوا حرباً منذ عام ١٨١٤ . وأعتقد أن السويد من أسعد بلاد العالم ، وأن أهلها يسعدون بحياتهم كل السعادة .

المذيع : ولكن كثيرين منهم ينتحرون ؟

رسل : نعم ، ولكن السبب فى ذلك انعدام الوازع الدينى ، فهم غير متدينين على العموم .

المذيع : لكن أليس القتال من طبيعة البشر ؟

رسل : كلمة الطبيعة البشرية كلمة مطاطة ؛ فأنت إذا قارنت كلبا أليفا بذئب متوحش – رأيت ماذا يستطيع التدريب أن يفعل : فالكلب الأليف وديع ولطيف ، لا ينبح إلا من وقت لآخر ، وقد يعض ساعى البريد ، لكنه على العموم طيب ، على حين أن الذئب مخلوق مختلف كل الاختلاف . والشيء نفسه تجده فى البشر : فالناس باختلاف التربية والإعداد يطرأ عليهم تغير كامل ، وأظن أن القول بأن الطبيعة البشرية لا تتغير قول سخيف ؟

المذيع : لقد تكلمت ذات مرة عن حرب ضد إسبانيا تشنها إنجلترا برغم إرادة رئيس الوزراء والبول ، بفعل ضغط الهستريا الغوغائية . فهل تظن أننا الآن بمأمن من التعرض لهذه الهستريا ؟

رسل : لا ، لسنا أقل تعرضا لها الآن مما كان الأمر فيما مضى ؛ ولعل التعليم الذى يمكن الناس من القراءة قد زاد من هذه الهستريا بفعل

الصحافة ، لكنّ هناك الآن تأثيراً مضاداً . والفضل فى هذا للتليفزيون فيما أعتقد ؛ لأن الناس تصلهم أنباء العالم الآن وهم فى منازلهم ، لا وهم جلوس فى قاعات ثائرة تموج بالبشر الذين لا يلبثون أن يتصايحوا ويصخبوا ! وأعتقد أن التجمعات الكبيرة هى السبب الرئيسى فى الهستيريا التى تصيب الجمهور ، وأظن أنه كلما قلت هذه الاجتماعات انخفضت حرارة الحمى .

هذه مقتطفات من حديث رسل التليفزيونى وهو وثيقة تسجل آراءه فى الفلسفة والعلم وكل مشاكل الفكر المعاصرة والقديمة .

والعجيب فيها كلامه عن العدوان وسرور الناس بالحرب !

إن البشر يحبون المغامرة لا العدوان بالمعنى الدقيق . وهذا يخالف آخر ما كتبه دكتور برت رولنج عن (فلسفة السلام) أو (علم السلام) يقول د. رولنج : إن الإنسان يخالف الحيوانات بميوله العدوانية ، وإن الحيوان إذا لم يكن جائعا لا يعتدى على بنى جنسه على حين أن الإنسان يرتكب العدوان دون استفزاز من زميل أو خصم !

على أن الرأيين ليس بينهما خلاف أساسى ؛ فكلاهما يقول : إن الإنسان يحب الحركة والنشاط ؛ والفرق الوحيد بين الرأيين : أن الرأى الأخير يقول : إن هذه الحركة والنشاط لها طبيعة عدوانية على حين أن رسل يقول إنه يمكن عن طريق الإعلام توجيهها وجهة غير ضارة فى مغامرات سلمية كتسلق الجبال والرحلات البعيدة ونحو ذلك .

وواضح أن رسل يعتبر المشكلة مشكلة تربوية ، فيضرب المثل بالذئب والكلب : أولهما متوحش فصار من الوحوش والآخر مروض فصار من أحب الحيوانات إلى الإنسان مع أنهما فى الأصل حيوان واحد !

فالإنسان – والقياس مع الفارق – إذا لم يروض على حياة السلام ، وبقى سادراً فى عالم يقتتل فيه الحكام – صار أشبه بالذئب الضارى ، أما إذا تناولته التربية الاجتماعية بالصقل والتهذيب والتدريب والتثقيف ، وتحسين حياته المعيشية ، وأماكن سكناه – فإنه يتحول إلى حيوان أليف – مع الفارق طبعاً – وصار كائناً محبوباً مسالماً ، وعضواً فى المجتمع نافعاً ومتعاوناً !

وأنا أتفق مع برتراندرسل فى أن المشكلة مشكلة تربية ، وأن الحكومات القومية لو كفت عن إساءة تربية رعاياها ببث سموم الكراهية والحقد فى دمائهم ، وغذتهم بالعلم الصحيح ، والفن الرفيع ، وتاريخ البشر وجهاده فى مسالك السلام ، وإقرار قيم الحياة من حب وشرف وتكافل . . تلك القيم التى تجمِّل الحياة وتجعلها جديرة بأن نحياها – لو فعلت الدول ذلك لنشأ جيل من البشر خال من الأحقاد والضغائن ، والاستعلاء والتعصب « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ومما يزكى الأمل فى ذلك أن العلم كما فجر طاقات البحث عن أسلحة نووية وهيدروجينية – قد حقق أيضا انتصارات سلمية عن طريق هذه الطاقات التى تنذر بالدمار الشامل ، فاستخدمت الطاقة الذرية

والهيدروجينية فى علاج كثير من الأمراض وتوليد طاقة كهربية لم يسبق إلى مثلها ، وإدارة آلات حققت وسوف تحقق مزيداً من الإنتاج والرخاء للعالم أجمع بعد أن تتحول هذه الطاقات كلها لخدمة السلام .

كما أن العلم فجر ثورة فى وسائل المواصلات ، ومنها وسائل الاتصال الجماهيرى . ومن شأن ثورة وسائل الاتصال أنها تقوى من سلطات الشعوب – كما يقول الأستاذ عبد المنعم الصاوى وزير الإعلام والثقافة المصرى – لأن السلطة تنبع أساساً من المعرفة ؛ وطالما توافرت المعرفة للناس فقد صارت قدراتهم على محاسبة الحاكم أكبر ؛ وبهذا يقترن عصر الثورة العلمية وعصر الثورة الديمقراطية .

وإذا كانت أمور التسليح أسراراً لا تذاع – فإن الثورة العلمية فى وسائل الاتصال قد ساعدت على كشفها ولو فى حيز محدود . ولقد دل ما كشف عنها حتى الآن على أن السباق بين القوى الكبرى فى العالم قد صار خطراً على الإنسانية كلها . وأن ترسانات السلاح النووى قد صارت مصدر قلق ؛ حتى لرجال الحرب والتسليح أنفسهم !

ولقد حان الحين لاستعمال وسائل الاتصال أو الثورة الديمقراطية لتطويق ثورة السلاح : بأن يشعر الرأى العام العالمى بأنه مطالبٌ بأن يحمى نفسه من الخطر ، وأن يُعنى الرأى العام فى كل القارات بوقف المذبحة الإنسانية قبل أن تقع .

وهناك ما يبشر بنجاح جهود العلماء لإقرار السلام فى الأرض ، وتعزيز

روابط الأخوة بين البشر ، ولعل القنبلة التى أفزعت الناس على مصير العالم — قد دفعتهم فى الوقت نفسه إلى تفادى حروب لا تصيبن الذين ظلموا منهم خاصة ! ورب ضارة نافعة !

صدر من هذه السلسلة :

١ – طعام الفم والروح والعقل	توفيق الحكيم
٢ – الفضاء ومستقبل الإنسان	د . فاروق الباز
٣ – شريعة الله وشريعة الإنسان	المستشار على منصور
٤ – أسس التفكير العلمى	د . زكى نجيب محمود
٥ – عالم الحيوان	د . محمد رشاد الطوبى
٦ – تاريخ التاريخ	على أدهم
٧ – الفلسفة فى مسارها التاريخى	د . توفيق الطويل
٨ – حواء وبناتها فى القرآن الكريم	أمينة الصاوى
٩ – علم التفسير	د . محمد حسين الذهبى
١٠ – المسرح الملحمى	د . عبد الغفار مكاوى
١١ – تاريخ العلوم عند العرب	د . أحمد سعيد الدمرداش
١٢ – شلل الأطفال	د . مصطفى الديوانى
١٣ – الصهيونية	فتحى الإبيارى
١٤ – البطولة فى القصص الشعبى	د . نبيلة إبراهيم سالم
١٤م – عيون تكشف المجهول	د . محمد عبد الهادى
١٥ – الحضارة	د . أحمد حمدى محمود
١٦ – أيامى على الهوا	سلوى العنانى
١٧ – المساواة فى الإسلام	د . محمد بديع شريف
١٨ – القصة القصيرة	د . سيد حامد النساج
١٩ – عالم النبات	د . مصطفى عبد العزيز مصطفى
٢٠ – العدالة الاجتماعية فى الإسلام	أنور أحمد
٢١ – السينما فن	صلاح أبو سيف

٢٢ – قناصل الدول	أحمد عبد المجيد
٢٣ – الأدب العربى وتاريخه	د . أحمد الحوفى
٢٤ – المكتبة والقارئ	حسن رشاد
٢٥ – الصحة النفسية	د . سلوى الملا
٢٦ – طبيعة الدراما	د . إبراهيم حمادة
٢٧ – الحضارة الإسلامية	د . على حسنى الخربوطلى
٢٨ – علم الاجتماع	د . فاروق محمد العادلى
٢٨م– روح مصر فى قصص السباعى	حسن محسّب
٢٩ – القصة فى الشعر العربى	ثروت أباظة
٣٠ – العمارة الإسلامية	د . كمال الدين سامح
٣١ – الغلاف الجوى	د . يوسف عبد المجيد فايد
٣١م– محمود حسن اسماعيل	د . عبد العزيز الدسوقى
٣٢ – التاريخ عند المسلمين	محمد عبد الغنى حسن
٣٣ – الخلق الفنى	د . مصرى عبد الحميد حنوره
٣٤ – البوصيرى المادح الأعظم للرسول	عبد العال الحمامصى
٣٥ – التراث العربى	عبد السلام هارون
٣٦ – العودة الى الإيمان	أحمد حسن الباقورى
٣٧ – الصحافة مهنة ورسالة	د . خليل صابات
٣٨ – يوميات طبيب فى الأرياف	د . الدمرداش أحمد

الكتاب القادم

الشريعة الإسلامية : المستشار عبد الحليم الجندى

رقم الإيداع	١٩٧٨/٢٧٥٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ — ٢٤٧ — ٢٤٥ — ٧

٢١/٧٨/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)